

المرأة بين اتجاهين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد:

ففي كلمة ضافية ارتجل معالي الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، رئيس «اللقاء الوطني السابع» للحوار الفكري ، الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين ، ارتجل كلمة أمام خادام الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله في الديوان الملكي بقصر اليمامة عند استقبال الملك لأعضاء «الهيئة الرئاسية بمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني» برئاسة معاليه ، حيث تكلم وفقه الله عن موضوع عمل المرأة ، والذي استأثر بجزء كبير من الحوار الوطني السابع ، مشيراً إلى أنه يوجد اتجاهان في العالم في هذا الشأن ؛ الاتجاه الأول يرى أن أسمى وأنبى عمل للمرأة هو عملها في منزلها ، وأنها إن عملت خارج المنزل فإن الدافع والمبرر لذلك ينبغي أن يكون هو الحاجة ، وأن على المجتمع أن يعتبر ذلك تضحية من المرأة ، وأن يعمل - أي المجتمع - على أن يُحرّر المرأة من هذه الحاجة ، أو على الأقل أن يُقلّل من تأثير عملها خارج المنزل على عملها الأساسي كراعية أسرة.

والاتجاه الثاني يرى أن عمل المرأة خارج المنزل لا ينبغي أن يكون الدافع والمبرر له هو الحاجة ، إنما هو الاختيار ، بناء على فكرة أن عملها خارج المنزل إنما هو محاولة لتحقيق ذاتها واستقلال إرادتها ، ومن ثمّ تحرّرها من التبعية للرجل وتحقيقها للمساواة معه.

ثم أفاد معالي الشيخ صالح الحصين بخلاصة تجارب العالم في كلا الاتجاهين بأن العالم قد مر بتجربتين مهمتين تتحيزان للاتجاه الثاني ؛ الأولى منهما تجربة الثورة الشيوعية ، عندما أطلق «لينين» شعاره المشهور (أن المجتمع لا يمكن أن يتقدم ونصف أفراده في المطبخ) ، على حد تعبيره ، ثم لما حقّق نظامه الشيوعي مساواة المرأة بالرجل في العمل ، واستمرت هذه التجربة حوالي سبعين سنة ، وأنهار النظام الشيوعي ؛ عند ذلك أعلن زعيم إعادة البناء (غورباتشوف) أن المساواة بين الرجل والمرأة في العمل قد تحقّقت ، ولكن تبين أن هناك عجزاً في موازنة المرأة لدورها كأم وربة منزل ، ونصّ على أن وظيفتها

التربوية لا غنى عنها ، وأن كثيراً من المشاكل التي يواجهها الشباب في سلوكهم أو ثقافتهم أو في إنتاجهم يعود سببه لمساواة الرجل بالمرأة في ميدان العمل.

وأما التجربة الثانية فكانت في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية الستينات ، حين قامت الحركة النسوية التي اتخذت شعار المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، وبعد أربعة عقود - وعلى الأخص في عام ٢٠٠٥م - أُجريت دراسة إحصائية أظهرت أن نصف النساء ممن هن من الأكثر امتيازاً وأرقى تعليماً اخترن العودة إلى البيت والعمل كربات بيوت ، وعززت هذه الدراسة دراسات أخرى كثيرة.

ثم استعرض معاليه عدداً من التجارب والإحصاءات ، وخلص إلى أن هذه التجربة أظهرت أن الإنسان عندما يحاول بطيشه وجهله أن يعارض أو يصادم قوانين الطبيعة فإنه في النهاية سيُهزم أمامها.

وتطرق معاليه إلى حكمة الإسلام في مسابرة لقوانين الطبيعة ، فهو لا يعتبر قوانين الطبيعة عدواً ثم يحاول أن يقهرها ، وإنما يعتبرها أشياء سخرها الله للاستفادة منها ، وذلك بالانسجام والتوافق معها ، فإذا كانت القوانين الطبيعية تُحقق مساواة التكامل - وليس مساواة التماثل - بين الرجل والمرأة ، فتعترف بالفروق في الوظائف البيولوجية والفسولوجية والسيكولوجية ؛ فالإسلام بدوره يُحاول أن ينسجم مع هذه القوانين ، فهو يرى أن الفروقات في هذه الوظائف الطبيعية لها أثرها - بطبيعة الحال - على الفروقات في الوظائف الاجتماعية.

ثم لفت الشيخ الحصين النظر إلى أن الثقافة المعاصرة في الغالب لا تُقرّر للناس هذا التقرير.

ثم أشار حفظه الله إلى أنه في هذا الوقت أصبح العالم تحت قبضة أقوى قوة عرفها التاريخ وهي الإعلام ، فهو أقوى من الجيوش ومن السياسة ومن الاقتصاد ، فهو يغزو الفكر ويستولي على القلوب ، ومع الأسف فإن للذين يسعون في الأرض فساداً نفوذاً ظاهراً فيه.

وأضاف معاليه أننا حقيقةً نتمتع ونملك أسمى وأرقى نظام ، وهو النظام الإسلامي ، ولكنَّ هذا لا يجعلنا في حصانة من التأثير بهذا الإعلام ، أو التأثير بثقافة العولمة التي يحملها ، وعلى المرين ودعاة الإصلاح أن يُوعُوا الأمة إلى جوانب السُّمو والرُّقي والتقدم الحضاري في الثقافة المعاصرة ، وفي نفس الوقت يُوعُونهم بجوانب التخلف الحضاري والجاهلية المحرومة من الوحي.

انتهى كلامه حفظه الله.